عوامل نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة

د. سليم عبده قائد القباطي
أستاذ مساعد . كلية التربية

ملخص البحث

استهدف البحث التعرف على عوامل نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة .

وقد حدد الباحث مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي :

ما العوامل التي وقفت خلف نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة ؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية :

س1: ما طبيعة منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية ؟

س2: ما طبيعة تعامل الصحابة مع منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في التربية ؟

س3: ما المصادر التي اعتمدت عليها التربية الإسلامية في تربية الصحابة ؟

وحتى يحقق البحث أهدافه وتعالج مشكلة البحث بطريقة موضوعية أستخدم الباحث المنهج التاريخي لمعرفة العوامل التي وقفت خلف نجاح التربية الإسلامية في تربية جيل الصحابة .

أما مصادر البحث ، فقد اعتمد الباحث في جمع المادة العلمية على المراجع المتعلقة بالتربية الإسلامية والمصادر العلمية التي لها علاقة بالبحث وتطلب البحث الرجوع إليها .

أما محتويات البحث فقد جاءت عبارة عن إجابة مفصلة للسؤال الرئيس والأسئلة الفرعية التي تم تحديد مشكلة البحث من خلالها .

وقد توصل البحث إلى أن عوامل نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة ترجع إلى عوامل بعضها يعود إلى محتوى خطاب القرآن الكريم ومنهجه في التربية وطريقة معالجته لنفوس الصحابة ، وبعضها يعود إلى المعلم ومنهجه في التربية الذي قام بتوصيل هذا الخطاب إلى الصحابة والمتمثل في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والبعض الآخر يرجع إلى تعامل الصحابة الإيجابي مع منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في التربية واقتصار مصادر تربيتهم على القرآن الكريم والسنة المطهرة بعيداً عن أي مؤثر آخر .

وفي ختام البحث حاول الباحث التقدم بعدد من التوصيات في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث .

الإطار العام للبحث :

المقدمة :

استطاعت التربية الإسلامية في عهدها الأول وفي فترة زمنية قصيرة وبإمكانات مادية متواضعة أن تصنع من الصحابة خير أمة أخرجت للناس ، ولاشك أن نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة لم يأت من فراغ وإنما وقف خلفه عوامل متعددة، ومن هنا كان اهتمام الباحث بدراسة العوامل التي وقفت خلف نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة.

مشكلة البحث :

المدقق في تاريخ الأمة الإسلامية يلحظ ظاهرة تاريخية ذات أهمية أفرزت جيلاً فريداً ، إنه جيل الصحابة الذي لم يعرف التاريخ أن تكرر في صورة جيل وأن كان قد شهد التاريخ أفراداً بين فترة وأخرى [1].

وهذه الظاهرة تتطلب أن يقف أمامها الباحثون في مجال التربية للتعرف على العوامل التي كانت خلف نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة .

تحديد مشكلة البحث :

يمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي :

ما العوامل التي وقفت خلف نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة؟

---

(1) سيد قطب : معالم في الطريق ، الطبعة الشرعية التاسعة ، دار الشروق ، بيروت ، 1400هـ ، ص14.

8- اعتماد المنهج القرآني في التربية على الحجة الدامغة والاستنتاج والملاحظة والاستقراء[19].

9- ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً كاملة يحدثه فيها عن قضية واحدة لا تتغير ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر... لقد كان يعالج القضية الأولى والكبرى والأساسية في هذا الدين الجديد... قضية العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسة... الألوهية والعبودية ، وما بينهما من علاقة... ولم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية إلى شيء مما يقوم عليها من التشريعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد أن علم الله أنها قد استوفت ما تستحقه من البيان وأنها استقرت استقراراً مكيناً ثابتاً في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان[20].

ب- العهد المدني :

المنهج القرآني في التغيير والتربية قائم على العقيدة حتى بعد رسوخها في أذهان أتباعها لم ينقطع الحديث عن العقيدة بانتهاء الفترة المكية بل استمر حتى بعد تكون الدولة المسلمة في المدينة المنورة.[21] والفرق الوحيد بين منهج القرآن الكريم في التربية في العهدين المكي والمدني يتمثل في إضافة خطاب آخر إلى خطاب العقيدة ، ففي العهد الملكي كان الخطاب واحداً للمخاطبين بالقرآن الكريم تمثل في العقيدة ، أما في العهد المدني فقد أضيف إليه خطاب آخر تمثل في التشريعات

(19) محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن الكريم – في دراسة أجراها عمر عبيد حسنة –سلسلة قضايا الفكر الإسلامي – يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء – المنصورة مصر 1412هـ-1981م ،ص94.

(20) سيد قطب : معالم في الطريق – مرجع سابق ، ص24.

(21) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق ، ص30.

والتوجيهات والتوعية السياسية وإعداد العدة للجهاد ، وبعد أن كان الخطاب القرآني في العهد المكي يلقن من أجل بناء الأساس صارفي العهد المدني يلقن من أجل تشييد البناء بعد أن ترسخت قواعده في العهد المكي . إلا أن استمرار تلقين الخطاب القرآني للمؤمنين بعد أن آمنوا أمر ذو دلاله مهمة لأن معناه أن هذا الخطاب درس لا ينتهي ولا ينقطع أبداً مهما كانت حالة المؤمن من الإيمان فلا بد من التذكير الدائم حتى للمؤمنين[22] .

والتأكيد على العقيدة حتى بعد رسوخها تعد إشارة واضحة إلى أن الشريعة بما تحمله من تكاليف وتوجيهات لا يمكن فصلها عن العقيدة كما أنها لا يمكن أن تلقى طريقها إلى التطبيق بصورة إيجابية بدون العقيدة .

وبارتباط العقيدة والشريعة نتج عنها المعرفة الإيجابية بالله سبحانه وتعالى التي افتقدتها البشرية في جاهليتها قبل الإسلام كما تفتقدها اليوم في كثير من جوانب حياتها المختلفة .

والعقيدة في بداية عهدها في العهد المكي كانت تهيئ الفرد على تحمل الأذى أما في عهد تأسيس الدولة وتشييد البناء فإن العقيدة ربت الفرد على تحمل المخاطر المتمثلة في الجهاد .

والجهاد يتطلب قيادة ولذلك جاءت التوجيهات لاحترام أولي الأمر وطاعتهم في غير معصية لله سبحانه وتعالى والعودة إليهم في كل مشكلة حتى لا تنتشر الفوضى في التصرفات الفردية الغير منضبطة .[23]

---

(22)محمد قطب : منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق ، ص30.

(23) المرجع نفسه ، ص30.

وفي العهد المدني عهد بناء المجتمع والدولة والحفاظ عليها بالجهاد تم وضع أسس للجوانب الأخلاقية بينت علاقة المجتمع بعضه ببعض وأسس للجوانب السياسية التي بينت علاقة الدولة والمجتمع المسلم باليهود والنصارى والمنافقين. بالإضافة إلى العديد من التوجيهات التي شملت جميع جوانب الحياة المختلفة التي كانت تنمو بسرعة في المجتمع الإسلامي الناشئ[24].

ثانياً: منهج الرسول ﷺ في التربية والتغيير

لقد كان وضع البشرية يوم بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وضعاً يبعث على الحسرة، فبناء البشرية أصيب بزلزال مروع - كما يصف ذلك الندوي[25] - نتج عنه خلل شديد فإذا بكل شيء فيه في غير محله فقد رأى مجتمعاً هو الصورة المصغرة للعالم كل شيء فيه في غير محله أصبح الذئب راعياً والخصم قاضياً وأصبح المجرم سعيداً الحظ والصالح محروماً شقياً رأى الرذيلة والأخلاق الدنيئة هي السائدة والفضيلة والأخلاق النبيلة مستغربة ومنبوذة رأى ملوكاً ظالمة ورعية مستعبدة ورهباناً وأحباراً أصبحوا أرباباً من دون الله ورأى الأمم قطعاناً من الغنم ليس لها راع والسياسة كالجمل الهائج حبله على غاربه والسلطان كسيف في يد سكران يجرح به نفسه وأولاده وإخوانه.

فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكما هي طبيعة الأنبياء من قبل بين الرأفة والرحمة فرأى إنساناً قد هانت عليه إنسانيته رآه يسجد للحجر والشجر

(24) المرجع نفسه، ص30.

(25) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - الطبعة السادسة مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر - مصر، 1385هـ-1965م، ص78-79.

والنهر وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضر رأى إنساناً معكوساً قد فسد نظام فكره فإذا النظري عنده بديهي والعكس .[26]

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف استطاع الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إحداث التغيير في مجتمع هذا وضعه وإنسان هذا طبعه.؟

يقول الشيخ الندوي[27] : بالإيمان الواسع العميق والتعليم النبوي المتقن ، والتربية الحكيمة الدقيقة وبشخصيته الفذة وبفضل القرآن الكريم المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ولا تخلق جدته ، بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإنسانية المحتضرة حياة جديدة واستطاع أن يغير أوضاعها جملة وتفصيلاً ، لقد وضع صلى الله عليه وسلم مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب أصاب الجاهلية في قلبها وصميمها فقضى على عقيدتها الفاسدة واجتث أخلاقها الفاجرة وأقام على إثرها عقيدة التوحيد وأخلاق لا إله إلا الله الفاضلة ، فأخرج بذلك أمة خير أمة أخرجت للناس .

والمنهج الذي أتبعه الرسول صلى الله عليه وأله وصحبه وسلم في التربية هو منهج القرآن فإذا كان منهج القرآن الكريم في التربية يمثل الجانب النظري إذا صح هذا التعبير فإن منهج النبي صلى الله عليه وسلم يمثل الجانب العملي . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قرأناً يتحرك ، وعندما سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم – قالت : كان خلقه القرآن .

---

(26) المرجع نفسه ،ص 78.

(27) المرجع نفسه – ص 108-111.

الإسلامية . تعتبر موارد ثانوية مثل الركاز وهو ما يوجد من دفن الجاهلية ، ومال من لا وارث له .. وغير ذلك .

التشريع في العلاقات الدولية

يقصد بالعلاقات الدولية في الإسلام هنا : الأحكام والنصوص المبينة لسير التعامل مع غير المسلمين سلماً وحرباً ، والتعامل العملي المبني على هذه الأحكام والنصوص الشرعية .. وهذا النوع من النظم الإسلامية لم يتحدد إلاّ في التشريع المدني بعد تأسيس الدولة الأولى بعد الهجرة إذ وجد المجتمع الإسلامي المتميز والدولة فبدأ التعامل مع الآخرين سلماً وحرباً متكافئاً وبالمثل مع سمو التعامل وتسامحه وحرصه على هداية الضالين من العالمين .

أهم المسائل التي شملها التشريع المدني في العلاقات الدولية

الصلح والمعاهدات :

وأول عمل عمله الرسول ﷺ مع غير المسلمين في هذا الصدد هو ما عمله مع قبائل يهود المدينة الثلاث : بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة .

إذ كتبت بين المسلمين وبينهم جميعاً اتفاقية سميت بعد ذلك معاهدة ، وهي تحمل ذلك المعنى لكنها في حقيقتها دستور ضمن حقوق المواطنة لكل ساكني المدينة .

تعهد الجميع الالتزام بها والعمل بموجبها[103] .

ولم يخالف المسلمون منها شيئاً إلاّ للمعاملة بالمثل حين غدر اليهود قبيلة قبيلة

103- أنظر نصوص المعاهدة : السيرة النبوية لابن هشام جـ2 : 130 - 135 .

عاملهم الرسول والمسلمون معاملة تليق بغدرهم لا غدراً بغدر[104] .

وكان من أبرز ما عمله الرسول ﷺ مع غير المسلمين: (صلح الحديبية)[105] .

فقد كان هذا الصلح في السنة السادسة من الهجرة اقتضى هدنة مدة عشر سنين يأمن فيها الجانبان فلا حرب ولا إيذاء، رجع الرسول ومن معه من الصحابة من الحديبية دون الدخول مكة معتمرين ، على أن يعتمر مع من يشاء في عام قابل .

قبل الرسول ﷺ في هذا الصلح شروطاً كان في ظاهرها إجحاف بحقوق المسلمين لكن الرسول كان يدرك تأثيرها الإيجابي في المستقبل للمسلمين وتأثيرها السلبي على العدو . فكان ذلك[106] .

فما مضت سنتان إلاّ والدولة الإسلامية قد قويت وتوسعت رقعتها ، وفتحت مكة عاصمة العدو فكان الصلح بحق فتحاً لما بينه الله عز وجل بقوله : (إن فتحنا لك فتحاً مبيناً)[107] .

الحرب والسلم وما يتبع ذلك :

لقد كان المسلمون في مكة مسالين ، يتحملون الأذى فلا يردون ولا يبادلون القوم الأذى لأنه لم يؤذن لهم بذلك ، وإنما كانوا يؤمنون بالدعوة بالحكمة ، الصبر ، والتحمل حتى هاجروا[108] إلى المدينة وتركوا ديارهم وأموالهم وأهلهم فكانت

104- أنظر ما صنع اليهود وما كان الرد عليهم المرجع السابق حـ 2 : 496 .

105- الحديبية مكان خارج مكة يعرف الآن باسم (الشميسي) يبعد عن مكة حوالي 20 كم .

106- أنظر تفصيل صلح الحديبية وشروطه وما ترتب عليه .. السيرة النبوية لابن هشام حـ 3 : 401 – 426 .

107- أنظر تفصيل ذلك تفسير ابن كثير للقرآن العظيم حـ 6 : 326 – 365 .

108- في السورة المكية الكثير من ذلك كما في سورة الحجر والطور والمزمل والدهر .

المفاضلة فأصبحت أرض يثرب مدينة منورة بالإسلام وبهجرة رسول الإسلام ، وبقيت مكة وما حولها دار كفر تحارب الله ورسوله والإسلام .. عند ذلك أذن الله للمسلمين بالقتال بعد ما نالهم الظلم الشديد على مدى ثلاثة عشر عاماً ، ولم يقف بهجرتهم . فكانت أول آية نزلت في ذلك قوله تعلى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)[109] .

فبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام بإرسال السرايا لتدريب أصحابه على الغزو استعداداً للقتال ، فأرسل عدة سرايا إلى عدة جهات في الجزيرة العربية كان من هذه السرايا سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى جهة مكة فلاقت جمعاً كبيراً من قريش ولم يكن قتال. وسرية حمزة بن عبد المطلب إلى شاطئ البحر فلاقت أبا جهل من قريش في ثلاثمائة رجل وكان مع حمزة ثلاثون رجلاً فقط من المهاجرين . ولم يكن قتال [110] .

وغزا الرسول بنفسه عدة غزوات منها غزوة ودان [111] وغزوة بواط[112] وغزوة العشيرة[113] .

وغيرها من الغزوات والسرايا ولم يكن فيها قتال إلاّ بعض مناوشة مثل ما كان من سرية عبد الله ابن جحش إلى قرب مكة والمواجهة التي كانت وقتل فيها عمرو بن الحضرمي من كفار قريش وغنم المسلمون أموالاً كانت أول غنائم المسلمين[114] .

109- سورة الحج الآية (40) .

110- سيرة ابن هشام جـ 2 : 269 .

111- ودان قرية خارج المدينة جنوباً .

112- بواط جبلان شمال المدينة .

113- العشيرة موضع قرب ينبع .

114- أنظر ذلك في سيرة ابن هشام جـ 2 : 277 – 281 .

وتتابعت الغزوات والسرايا حتى كانت غزوة بدر الكبرى أول الغزوات الفاصلة انتصر الحق فيها على الباطل فكان لذلك ما بعده .

وجاء بعدها التشريع الدولي في الغنائم والأسرى والفداء .. تنزل القرآن بذلك ، وبينت السنة والسيرة الكثير وزادت عليه . وما التشريع إلاّ كتاب وسنة ، وهما أصل الأصول ، ولا فرق في وجوب الأخذ بهما .

بين القرآن حكم الغنائم في أول تاريخ التشريع المدني وعقب أول غزوة كبرى بين الكفر والإسلام (غزوة بدر الكبرى) فقال تعالى : (يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)[115] .

وفي السورة نفسها بيان أوضح لحكم الغنائم في قوله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ..)[116] .

وبينت السنة النبوية اختصاص هذه الأمة بإحلال الغنائم وبينت الكثير مما يتصل بالغنائم ليس هنا متسع لذكر ذلك[117] .

من هذه الأحاديث قوله ﷺ (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي،نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ..)متفق عليه [118] .

115- سورة الأنفال آية (1) .

116- سورة الأنفال آية (41) .

117- ينظر في هذا تفسير ابن كثير لأول سورة الأنفال (41) .

118- ينظر الحديث في المرجع السابق جـ 3 : 347 .

الأسرى والفداء :

جاء التشريع المدني بحكم معاملة الأسرى ، فكان في البداية صارماً كما بينت سورة الأنفال بعد المشاورة بين رسول الله ﷺ لأصحابه في شأن الأسرى وحكمه فيهم بالليّن، والرحمة وأخذ الفداء الزهيد ، أو قبول تعليم عشرة صبيان من أبناء المدينة على يد أحد المجيدين للقراءة والكتابة فداءاً للأسير الذي لا يملكه الفدية المالية .

نزلت الآية بعد ذلك من سورة الأنفال تعاتب النبي وتؤيد الرأي الذي كان عليه عمر بن الخطاب ﷺ (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)[119] .

وجمهور العلماء على أن الحاكم مخير في الأسرى فإن شاء قتل وإن شاء فدى، وإن شاء استرقهم (جعلهم عبيداً) وآية سورة محمد أوضح في هذا وهي قوله تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ..)[120]

فالآية واضحة في التخيير للقائد بين أن يقتل أو يمن أو يفدي وهي قد نزلت بعد غزوة بدر أي بعد سورة الأنفال[121] وفي المسألة خلاف ينظر في كتب التفسير المطلوبة وكتب الفقه .

119- سورة الأنفال آية (67 – 68) .

120- سورة محمد– آية (4) .

121- تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ 6 : 309 – 310 .

التعليم المتبادل :

كان من التشريع المدني في مجال العلاقات الدولية التعليم المتبادل ، ونعده تشريعاً لأنه يتصل بالتعامل مع كفار ومشركين في مسألة هامة جداً هي التعليم أخذاً وعطاء . ونحن – خاصة في عصرنا نجد الآلاف من طلاب المسلمين يسافرون إلى بلاد الكفر للدراسة والتربية ، وقد خاض في هذه المسألة كثير من العلماء بين محرم ومحلل ومتوسط في حكمه . ولكل وجهة فهذا يعتمد في حكمه على ما يرى من ضرورة لأخذ العلوم الحديثة من مصادرها ، وهذا يعتمد في حكمه على ما يرى من آثار بعض المبتعثين من ضعاف النفوس الذين يرجعون متنكرين لدينهم وتقاليد بلادهم الحميدة مستعلين على أترابهم مفتخرين بما وصولوا إليه من تلك البلدان ولو كان شيئاً يسيراً .

وهذا يتوسط في حكمه مفرقاً بين المبتعثين أنفسهم ، والتخصصات التي يكون السفر من أجلها والبلدان التي يذهبون إليها. ولعل الخير في التوسط[122] .

122- ينظر في هذا ما كتبه الأستاذ الدكتور / محمد لطفي الصباغ – في كتيبه خاص بهذا الموضوع سماه (الإبتعاث ومخاطره) . وما كتبه الأستاذ محمد قطب في كتابه (واقعنا المعاصر) ص 207 وما بعدها ط جدة 1407هـ – 1986م .

وما بين أيدينا من أمثلة للتشريع في العلاقات الدولية في أيام الرسول ﷺ يؤيد القول الوسط :

المثل الأول :استبدال تعليم عشرة صبيان من أبناء المسلمين بفداء أسرى قريش

فالمعلم في هذه الحالة كافر مشرك عدو جاء يشارك في استئصال الإسلام والمسلمين . والمتعلم صبي من صبيان المسلمين القابلين لأي تعليم يملى عليهم ولو أن التعليم في ذلك الحين ما كان يتجاوز والقراءة والكتابة لكن المعلم يستطيع زرع مفاهيم وأخلاق معينة في تلامذته، فكان أن علم كل قارئ من الأسرى عشرة صبيان من أبناء المسلمين[123] ، واختيار عشرة لكل معلم له أثره التربوي والتعليمي يدركه المربون والمعلمون.

المثال الثاني : إرسال أربعين معلماً إلى نجد

وهذا المثال عكس الأول فالمعلمون هنا مسلمون أرسلهم الرسول ﷺ بناءاً على طلب رجل كبير جاء فسمع من الرسول واستحسنه فطلب إليه إرسال معلمين يعلمون الناس ويدعونهم فاستجاب إلى ذلك وخرجوا معه في وجهه[124] وكانوا أربعين رجلاً وقيل سبعين . وكان يطلق عليهم القراء .

وهذا المصطلح كان قديماً يطلق على العلماء فيقال لهم (قراء) انطلقوا مع الداعي لتعليم قبيلته فما إن وصلوا حتى أحيط بهم من قبل عامر بن الطفيل شيخ قبيلة بني عامر القادمين عليها ، لكن القبيلة لم تغدر بأبي البراء ولم تخفر ذمته

123- أنظر الرحيق المختوم في السيرة النبوية لصفي الرحمن المباركفوري ص 221 .

124- كان الذي جاء إلى رسول الله ﷺ وطلب إليه هذا الطلب أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة.

فاستصرخ ابن الطفيل قبائل أخرى : عصية ورعلاً وذكووان والقاره كلهم من بني سليم فأجابوه وقاتلوا المسلمين القراء حتى قتلوهم جميعاً ولم ينج منهم إلاّ واحد (كعب بن زيد) وقد أصيب بجراحات كبيرة [125] .

والشاهد من هذا المثل هو استجابة الرسول لبعث معلمين دعاةً إلى قوم كفار مشركين لتعليمهم ودعوتهم ولو لم يتم ذلك إلاّ أن التكليف والذهاب للتنفيذ قد كان .

المثال الثالث: أمر الرسول بتعليم لغة غير المسلمين

كما حدث من أمره ﷺ زيد بن ثابت الأنصاري أن يتعلم لغة اليهود (العبرية) فتعلمها وأجاد قراءتها وكتابتها خلال شهر واحد بل أقل من ذلك كما هو مذكور في السير والتواريخ [126] .

وكان اليهود أشد أعداء الله ورسوله والإسلام والمسلمين (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا..) [127] . ولم يمنع ذلك التعامل مع اليهود، بل من اختيار ذلك الشاب المتوقد ذكاءً وإرساله إليهم ليتعلم لغتهم، ولا شك أن في ذلك فائدة كبيرة للمسلمين وخدمة للإسلام، ومن ذلك كله يؤخذ تشريع السفر لأخذ العلم ولو في بلاد الكفار على أيدي الكفار أنفسهم.

ولا بأس من التأكد والاطمئنان على سلامة الدراسة وأسلوب التلقي ، والحرص على ألاّ يضيع المتعلم ديناً ، وخلقاً بسبب طلب العلم من غير المسلمين،

125- ينظر تفصيل ذلك في السيرة النبوية لابن كثير جـ3 : 141 – 143 .

126- أنظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ 2 : 358 – 359 .

127- سورة المائدة الآية (82) .

والمسألة اجتهادية، لكن الأصل فيها الجواز ، فلا يمكن لأي إنسان أنى كان أن يحرم أو يحلل أموراً دون استناد شرعي.

المراسلات إلى البلدان المختلفة :

وكان من التشريع الدولي المدني أن سن الرسول الكريم عليه أتم الصلاة والتسليم مراسلات حكام عصره يدعوهم إلى التوحيد ، واللقاء على كلمة سواء والعدل والإنصاف .

فكان أن كتب إلى هرقل العظيم[128] ، وكسرى عظيم الفرس[129] ، والمقوقس عظيم مصر[130] .. وبقية الملوك داخل الجزيرة وخارجها[131]، ولا شك أن في تلك المراسلات تشريعاً سياسياً ودولياً .

كان ذلك التشريع الدولي يحمل في طياته ديناً وخلقاً وحرصاً على هداية الناس أجمعين ، وفيه تفتح باب التوبة ، والبشرى بالسعادة في الدارين ، السعي إلى تكوني أسرة دولية واحدة لا تعبد إلاّ الله ولا تخاف إلاّ الله ، تنتفي منها الشحناء والبغضاء ، والاستعباد والاستبداد .

إرسال السفراء إلى الدول :

ولقد شرع لنا الرسول ﷺ في مجال العلاقات الدولية شرعاً واضحاً تضمنته سنته القولية والعملية والمهم هنا الناحية العملية أكثر من القولية وكلاهما مهم .

128- أرسل إليه رسولاً ورسالة أما الرسول فكان دحية بن خليفة الكلبي كما روى ذلك أهل السير . أنظر السيرة النبوية . لابن كثير حـ 3 : 343 أشار إلى ذلك إشارة وفصل في غيرها .

129- كان حامل الرسالة إليه عبد الله بن حذافة السهمي . المرجع السابق نفس الصفحة .

130- كان حامل الرسالة إليه حاطب بن أبي بلتعة . المرجع السابق الصفحة نفسها .

131- كان ممن راسلهم : النجاشي ، وملك عمان والبحرين .

لكـن عملـه ﷺ في هـذا الميدان لا يدع مجالاً للشك أو لزرع الشبهات حول سياسته وإدارته ، ولا حول تعاليم الإسلام الكاملة والشاملة .

فهـو ﷺ قد نظر إلى أهم الدول في عهده والكيانات المستقلة ولو كانت قبائل كـبرت أم صـغرت فأرسـل إليها سفراءه بالطريقة التي كانت تتناسب وعصره . وما تطورت السفارة إلاّ بعد ذلك حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم .

فأصـبحت تتصـف بالثـبات ، وتحديـد الأعمال ، ورسمت بعض التقاليد التي يعمـل بهـا في هـذا المـيدان مـن ميادين العمل السياسي . أرسل السفراء إلى دولة الروم مخاطباً زعيمها بـ (عظيم الروم) .

واسـتقبل قيصـر السـفير والكـتاب فـأخذه مـأخذ الجـد وأدرك أهمية القائد العظـيم محمـد بـن عـبد الله رسـول الله والدولة الناشئة فنصح قومه بقبول الإسلام وبشـرهم بأن في ذلك صلاح دنياهم وأخراهم [132] . بل روى البخاري أوضح من هـذا وهـو قـول هـرقل لرعيته : يا معشر الروم : هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت لكم ملككم فتبايعوا لهذا النبي [133] .

وبـالإطلاع عـلى بقـية الحـوار بـين هـرقل وشوراه تجد الكثير من الدروس والعبر، والدليل على عقل ذلك الرجل وإدراكه لأهمية الدولة الجديدة الناشئة [134] .

وأرسـل سـفيره إلى ملك العرب النصارى في الشام : قائلاً لهم : (سلام على مـن اتـبع الهـدى وآمن به ، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك

132- أنظر السيرة النبوية لابن كثير جـ 3 : 398 .

133- صحيح البخاري 5/1 وسيرة النبي لابن كثير جـ 3 : 502 .

134- يراجع المرجع السابق الصفحات التالية مباشرة .

واقتدار أخلاقيات وسلوكيات القدوة الحسنة في شأنه كله في الحرب والسلم ففي غزوة الخندق كان يحفر بيده الشريفة مع أصحابه وكان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، وكان لهذه القدوة أكبر الأثر في نفوس الصحابة وتجلت عظمة أثر هذه القدوة عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في صلح الحديبية أن يتحللوا من العمرة فلم ينفذوا وعندما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لزوجه أم سلمة (هلك الناس أمرتهم فلم ينفذوا) أو كما قال صلى الله عليه وسلم . قالت له (أفعل أنت ذلك حتى إذا فعلت فعلوا) وبالفعل عندما رأى الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم باشر ذلك قاموا على الفور وفعلوا مثل ما فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وتأثير القدوة في نفوس الناس أمر طبيعي لأنها نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع لأنها رغبة ملحة تدفع الإنسان مهما كان عمره إلى محاكاة سلوك من هو في موضع القدوة[40] .

والقدوة الناجح هو الذي يتطابق قوله مع فعله وهذا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتميز به ، لذلك وصف بأن خلقه كان القرآن وكان قرآناً يتحرك . والقدوة الحسنة في أبسط معانيها تعني الشخصية المتكاملة السوية التي يتطابق قولها مع فعلها وفي المقابل نجد القدوة السيئة بخلاف ذلك.ولذلك حث الله عز وجل على إتباع القدوة الحسنة ممثلة في شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحذر من القدوة السيئة ممثلة في المنافقين في كل زمان ومكان .وإذا كان القرآن الكريم قد حث على إتباع القدوة الحسنة في أكثر من موضع نجده في المقابل يحذر من القدوة السيئة في أكثر من موضع أيضاً ومن أمثال ذلك العتاب الموجه إلى بني إسرائيل عندما كانوا قدوة سيئة لمن يدعونهم (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون

(40)عبد الرحمن النحلاوي - أصول التربية الإسلامية - مرجع سابق ، ص 231.

الكتاب أفلا تعقلون) البقرة آية 44 .. وحذر المؤمنين من أن يكون سلوكهم كذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) الصف آية 2-4 .

3- البيئة الصالحة:

للبيئة أهمية كبيرة وأثر بالغ في إحداث عملية التغيير ، ولذلك فإن أي تغيير لا يمكن أن يحقق أهدافه كاملة بدون إيجاد البيئة التي تتقبل التغيير المطلوب إحداثه .

ومن هنا لم يهمل الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم دور البيئة في إحداث التغيير ، لأن البيئة تترك في نفس الفرد المراد تغييره أثراً كبيراً لأنها المدرسة التي يأخذ عنها الإنسان عاداته وتقاليده والبيئة الفاسدة تدعو إلى الفساد والإنسان بطبعه ضعيف (خلق الإنسان ضعيفا) النساء آية 28 .

ويندر أن يقاوم الإنسان عوامل الفتنة والإغراء ومن الصعب تكليفه بالاعتدال والمجتمع الذي يعيش فيه منغمس في الفسق والفجور لذلك عمل الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من الوهلة الأولى لدعوة التغيير على إيجاد البيئة الصالحة والمناسبة لدعوته ولم يفرض الله سبحانه وتعالى ما فرض من حدود إلا بعد أن تم إيجاد هذه البيئة[41] .

وقد مر منهج الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من أجل إيجاد هذه البيئة بمرحلتين على النحو الآتي:

(41) عبد الفتاح عاشور : منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق ، ص 266.

المرحلة الأولى:

كانت البيئة التي وجد فيها الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في مكة تعارض بشدة التغيير الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم[42] ، الأمر الذي جعل النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يفكر في إيجاد البيئة الصالحة والمناسبة لدعوته وقد تم إيجاد هذه البيئة على النحو التالي[43]:

1- التخلي شيئاً فشيئاً عن البيئة الجاهلية في مكة.

2- السعي إلى تكوين بيئة خاصة بالمسلمين ، وكان دار الأرقم أبن أبي الأرقم نواة هذه البيئة.

3- شعب أبي طالب وهذه البيئة وإن كانت قد فرضت على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بخلاف دار الأرقم إلا أنها على الرغم من قساوتها قد أسهمت في تربية جيل الصحابة بصورة إيجابية. والبيئة التي تربى في ظلها الصحابة في العهد المكي سواء تلك التي تم إيجادها برغبة من النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أو تلك التي فرضت عليهم كانت بيئة خاصة بتكوين الفرد المسلم وتهيئته لإنشاء المجتمع المسلم والدولة المسلمة .

(42) أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – مرجع سابق ، ص 95.

(43) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق ،ج2، ص41. ، عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق ،ص 266 وما بعدها ، عماد الدين خليل : دراسة في السيرة –دار النفائس – بيروت – 1397هـ،ص 88،90.

المرحلة الثانية:

إذا كانت البيئة التي أوجدها النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في العهد المكي قد اقتصرت على تكوين الفرد المسلم وتهيئته لإنشاء المجتمع المسلم والدولة المسلمة فإن البيئة التي أوجدها النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في العهد المدني قد اتسمت بالشمول حيث شملت تكوين الفرد المسلم والمجتمع والدولة المسلمة بفعل الظروف التي توافرت لها وحرمت منها البيئة الإسلامية في العهد المكي.

وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم يثرب لتكون الوعاء الذي أحتوى البيئة التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتم على أرضها استكمال عملية التربية التي بدأها في مكة المكرمة ولم يكن اختيار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليثرب التي سميت فيما بعد بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً على اختيار عشوائي أو قائماً على الاختيار الاضطراري، وإنما كان قائماً على الاختيار المدروس والمبرمج لتوافر الظروف الملائمة لإقامة المجتمع المسلم والدولة المسلمة[44].

وكان في مقدمة هذه الظروف المناسبة لجعل يثرب أكثر من غيرها دار لهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيئة صالحة ومناسبة لاستكمال عملية التربية توافر الأنصار المؤيدين لدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذين كانوا نتيجة جهود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التربوية في العهد المكي والمتمثلة في اللقاءات التي تمت بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهة و الأوس

(44) عماد الدين خليل : دراسة في السيرة – مرجع سابق ، ص 133،130.

والخزرج من جهة أخرى والتي تمخضت عن بيعة العقبة الأولى والثانية التي قدمها الأوس والخزرج لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى يثرب سفيراً للرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ومعلماً للمسلمين من الأوس والخزرج وداعياً إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في يثرب(45).

وقبل أن يعزم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الهجرة إلى يثرب عرض الأمر على المسلمين من الأوس والخزرج وأعطوا الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عهداً لحمايته وحماية دعوته(46).

أما المكونات الأساسية للبيئة الصالحة والمناسبة لاستكمال عملية التربية التي عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على إيجادها في العهد المدني فقد تمثلت في الآتي:

1- الأخوة في الله :

لما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام يثرب مهاجراً من مكة كان أول عمل عمله صلى الله عليه وآله وسلم هو مؤاخاته بين الأنصار والمهاجرين ، وكانت تلك اللحظة هي ميلاد الأمة الإسلامية وفي الوقت نفسه ميلاد الدولة الإسلامية حيث امتلكت مقومات قيامها والمتمثلة في الأرض والأمة بعد طول معاناة استغرقت ثلاثة عشر عاماً .

(45)عماد الدين خليل : دراسة في السيرة – مرجع سابق ، ص 130،132.

(46) محمد الغزالي : فقه السيرة ، مرجع سابق ، ص158،159.

وإذا كان منهج القرآن ومنهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في العهد المكي قد ركزا جهودهما على إيجاد العقيدة النقية الصحيحة القائمة على التوحيد ، وهي الأساس الأول للتربية الإسلامية فإن المؤاخاة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار كانت بمثابة تدريب عملي على (الأخوة الإسلامية) التي بعثتها العقيدة الإسلامية في نفوس المؤمنين بها [47] (إنما المؤمنون أخوة) سورة الحجرات آية10 .

وكانت كذلك تدريبا عملياً على التكافل وهو من المعاني العميقة في بناء الجماعة المسلمة حيث يتولى القادرون على أساس الأخوة في الله من جانب وعلى أساس التصرف في مال الله بما يرضي الله من جانب آخر ، لأن العقيدة تربي المسلمين على أن المال الذي في أيديهم هو مال الله في الحقيقة ، هو الذي وهبه وإن شاء أخذه وهو الذي ملكه لمن ملكه له ، ومن ثم يختفي الجشع ، وما دام آمن بهذا الدين فإن الدين قد جعل للمحتاجين إليه في المجتمع المسلم حقاً فينفق المسلم جزءاً من ماله برضاء تام وقناعة بل يشعر بالارتياح عندما ينفق ذلك .

وهذا الإنفاق يشمل الزكاة المفروضة والصدقات المتروكة للتطوع التي لها مقدار محدد وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم والذي سبق أن تحقق في أول بناء شيد في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[48] .

وبالإخاء بين المؤمنين مهاجرين وأنصار الذي بناه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأشرف على تنفيذ البناء بنفسه ذابت العصبيات الجاهلية فلا حمية إلا

(47) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق ، ج2، ص69.

(48)محمد قطب : منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق ، ج2، ص69.

للإسلام وسقطت فوارق النسب واللون والوطن فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بتقواه، وجعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأخوة عقداً نافذاً ارتبط بالتضحية والإيثار ، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة [49] .

وهكذا استطاع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهدي القرآن والحكمة التي أهداه الله إياها أن يوجد هذه الأخوة الحقة التي لم تشهد تكراراً في صورة جيل وإن تكررت بصورة فردية عبر التاريخ .

2- بناء المسجد :

بعد أن فرغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من بناء العقيدة النقية في نفوس أصحابه وإيجاد الأخوة الإسلامية شرع في بناء المسجد الذي تم من خلاله رفع نداء عقيدة التوحيد التي طالما حوربت وإقامة الصلوات التي تربط الإنسان بخالقه وتنقي القلب من أدران الأرض ودسائس الحياة الدنيا ، ويتردد عليه المسلمون في اليوم والليلة خمس مرات تزيد من ألفتهم وأخوتهم واعتصامهم بحبل الله [50] وهو إلى جانب ذلك مدرسة للتعليم والتربية والتوجيه الروحي والمادي.

3- بناء الأسرة المسلمة :

بعد أن تم بناء الفرد جاء الدور على بناء المجتمع وكان الاهتمام بالأسرة كبيراً باعتبارها القاعدة التي يقوم عليها المجتمع وكان منهج الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فريداً في بناء الأسرة وربط أفرادها بعلاقات وطيدة قائمة على المحبة

(49) محمد الغزالي: فقه السيرة – مرجع سابق ، ص192.

(50) المرجع نفسه ، ص189- 190.

والرأفة والمودة والرحمة،وأرسى لها القرآن دعائم ثابتة واضحة المعالم وحدد لكل طرف فيها ماله وما عليه من حقوق وواجبات وضمن للجميع حياة آمنة مستقرة[51].

4- حسن الجوار :

لم يكتف الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بإيجاد العلاقة الطيبة بين المؤمنين بصفة عامة وأفراد الأسرة بصفة خاصة بل عمل على إيجاد العلاقات الطيبة بين أهل الجوار وأوصى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالجار كثيراً وحذر من إيذاء الجار حتى وإن جار[52].

5- تحصين البيئة من المخاطر :

بعد أن عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على إيجاد المرتكزات الأساسية للبيئة الصالحة عمل صلى الله عليه وآله وسلم على تحصينها من أي خلل قد يواجهها سواء كان هذا الخلل من داخلها أم من خارجها فعمل على تأمينها من داخلها بتأكيده على مرتكزات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعمل على تأمينها من الأخطار المحيطة بها من خارجها وفي مقدمتها الخطر اليهودي وتم ذلك من خلال عقد المعاهدة مع اليهود المحيطين بهذه البيئة والمتربصين بها[53].

6- العمل على حماية المجتمع والدولة المسلمة :

لم يقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على تحصين البيئة الإسلامية الناشئة من الخطر اليهودي المحيط بها بل عمل على إعداد المجتمع المسلم الناشئ ودولته

(51) عبد الفتاح عاشور : منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق ، ص312.

(52) محي الدين النووي : رياض الصالحين ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص99-100.

(53) محمد الغزالي : فقه السيرة ، مرجع سابق ، ص195 ، 197.

الناشئة على تحمل مسؤولية الدفاع والقيام بمهمة التربية الإسلامية وإيصالها إلى كل مكان .

فبعد أن كان منهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكة يقتصر على إعداد الفرد من خلال العقيدة على تحمل الأذى فقد عمل النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في العهد المدني على إعداد المجتمع من خلال العقيدة أيضاً على تحمل المخاطر المتمثلة في الدفاع عن دولته الناشئة وكيانه من خلال الغزوات والمعارك التي كان ينفذها الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بين الحين والحين الآخر لمصلحة عملية التغيير التي قاد لوائها [54] .

ثالثاً: تعامل الصحابة مع منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول ﷺ في التربية

لقد أفرز منهج القرآن ومنهج الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في التربية جيلاً فريداً من البشر إنه جيل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو السر الذي وقف خلف وجود هذا الجيل الفريد ؟ أليس القرآن الذي كان بين أيديهم هو نفسه الذي بين أيدي الأجيال اللاحقة من بعدهم وهو نفسه الذي بين أيدينا اليوم وكذلك الحال بالنسبة لسنة الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ولم يغب سوى شخص الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؟[55] .

(54) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ج2، ص70.

(55) سيد قطب : معالم في الطريق ، مرجع سابق ، ص14.

إن السر الذي كان يقف خلف نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة يعود بالإضافة إلى ما تم ذكره من منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في التربية إلى نوعية تعامل الصحابة مع منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية والذي يمكن الإشارة إليه على النحو الآتي :

1- تلقي القرآن للتنفيذ :

لقد كان تعامل الصحابة مع القرآن الكريم روح وجوهر عملية التغيير التي أحدثها الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إيجابياً ، فقد كانوا يقرءون القرآن الكريم ويتلقونه على أساس أنه أمر الله سبحانه وتعالى الذي يجب أن يطاع في خاصة شأنهم وشأن الجماعة التي يعيشون فيها وشأن الحياة التي يحيونها ليعملوا به فور سماعه ، إنه باختصار التلقي للتنفيذ وليس للمتعة أو الترف أو الترويح الوجداني أو التبرك.وهذا الشعور أفضى إلى اختلاط القرآن الكريم بذواتهم وتحول القرآن في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي وإلى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف ، إنما تتحول آثاراً وأحداثاً وتحول بموجبها خط السير في الحياة (56) .

نعم إنه حوّل السير في الحياة من الجاهلية الجائرة الغاشمة إلى حياة إسلامية راقية وعادلة، وبذلك حدث التغيير النوعي الهائل الفريد الذي لم يسبق له مثيل عبر التاريخ لا القديم ولا الحديث ولا المعاصر لا في مدته الزمنية ولا في آثاره وانعكاساته.

(56)سيد قطب : معالم في الطريق - مرجع سابق، ص 18.

إن روح الإسلام ممثلاً في القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم صلى الله عليه وآلـه وصحبه وسلم يتمثل في الإقبال عليه بهدف العمل به واتخاذه منهج حياة [57] يهـتدي بـنوره ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه ويقتفى أثر حامله ومبلغه رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

2- إحساس الصحابة بعظمة المتلقي منه وعلو قدره ومكانته :

أحدث القرآن الكريم وقدوة الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لجيل الصـحابة تزكـية لكـل جوانـب حـياتهم ، تحـول الجيل الأمي إلى جيل يفيض علماً وحكمـة ، وتحـول بذلك حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم من سوء حال وقمة في الضـلال والجاهلية إلى أحسن حال وقمة في التزكية والعلم والحكمة[58] . وقد كان الـنبي صـلى الله علـيه وآلـه وصـحبه وسلم يمثل الجانب التطبيقي للقرآن الكريم ، لذلك أمر الله تبارك وتعالى باقتفاء أثرة والتزام طريقته وجعل ذلك دليلاً على الإيمان الحق قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفـور رحـيم ، قـل أطـيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) . آل عمران 31،32

كمـا اعتـبر عـز وجـل احـترام الرسـول صـلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وتوقيره وإتباع هدية الطريق الموصل إلى الهدى والنجاة ، قال تعالى (فالذين آمنوا به وعـزروه ونصـروه وأتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ...) الأعراف 157،158 .

(57) المرجع نفسه – ص15.

(58) عبد الفتاح عاشور : منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق ،ص 161،163.

3- تلقي القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالسليقة والوصول إلى أعماقهما دون تكلف :

من العوامل التي أثرت في تربية جيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم تلقيهم للقرآن الكريم وهدي الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بسليقتهم ، ووصلوا إلى أعماقهما دون تكلف ، فإذا نظرنا إلى ربعي بن عامر وهو من سكان البادية يكلم قائد الفرس ويقول له قولته المشهورة : جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ... ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ... من أين فهم الرجل هذا الكلام ؟ إنه من نضح القرآن على نفسه وهدى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم[59] ومن هنا أوجد القرآن والعرض الحسن له من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أناساً استطاعوا أن يرتفعوا فوق مستوى عقل الفرس ، وعقل الروم ، على الرغم من امتلاكهم لكيان مادي قوي ، وعندما تعامل العرب معهم ما كانت هناك عقدة نقص أبداً عند العرب ، بل كان هناك استعلاء إيماني والذي صنع هذا في نفوسهم هو القرآن الكريم[60] .

4- إدراك حقيقة الجاهلية وحقيقة الإسلام :

لقد عرف الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأدركوا حقيقة الجاهلية التي كانوا يعيشون فيها قبل إسلامهم ، وكانت هذه المعرفة عميقة وحية وإيجابية وفي الوقت ذاته شاملة فلم تقتصر على جانب دون آخر وإنما شملت الشكل والمضمون وأبعاد الجاهلية ونتائجها ، ولم تبرز هذه المعرفة لحقيقة الجاهلية إلا بمعرفة حقيقة الإسلام - (وبالأضداد تتميز الأشياء) - الذي تم التعرف عليه بصورة شاملة

(59) محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن الكريم - مرجع سابق ، ص 148.

(60) المرجع نفسه ، ص148.

وإيجابية لمعطياته وأبعاده ونتائجه وعقيدته وأخلاقه فقدروه حق قدره. لقد كان تقديرهم للإسلام والانتماء إلية عظيماً جداً وفي الوقت نفسه كان تقديرهم للعودة للجاهلية مرة أخرى أو التخلق بأخلاقها أمراً لا يمكن استساغته أو الاقتراب منه فقد ذاقوا حلاوة الإسلام كما ذاقوا مرارة الجاهلية ، ومن هنا جاءت مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية) ولذلك كان تمسكهم بالإسلام شديداً وتقديرهم له عظيماً[61] .

5- التخلي التام والحاسم عن الجاهلية :

كان من بين العوامل المهمة في تربية جيل الصحابة ، التخلي بصورة كاملة وحاسمة عن كل شيء له علاقة بحياة الجاهلية قبل ولوج حياة الإسلام ، وكان يشعر الصحابي في اللحظة التي يجيء فيها إلى الإسلام أنه يبدأ عهداً جديداً منفصلاً عن حياته التي عاشها في الجاهلية إنه كان يدفن ماضيه الجاهلي ويعلن ميلاداً جديداً وبهذا الإحساس كان يتلقى الإسلام [62] .

لقد انقطعت صلة الصحابي تماماً بالجاهلية واتصل اتصالاً تاماً وثيقاً بالحياة الإسلامية وتمثل هذا الانقطاع في العداوة للمجتمع الجاهلي وهجرة البيئة الجاهلية وعرفها وتصورها وعاداتها وروابطها التي محورها الشرك ، وتمثل الاتصال بالحياة الإسلامية في عقيدة التوحيد الخالصة والتصور الإسلامي للوجود والحياة والولاء والطاعة والانقياد للإسلام [63] والهوية الجديدة ، بذلك تغلب على كل الرواسب والمعوقات التي من شأنها أن تجره إلى ماضيه الجاهلي شكلاً ومضموناً .

---

(61) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق – ج2، ص19.

(62) سيد قطب : معالم في الطريق ، مرجع سابق ، 19-20.

(63) المرجع نفسه ، ص20.

وتولد عنده الرغبة الأكيدة الصادقة والحب والود والرحمة للعهد الجديد الذي أفتتحه بمعرفة الله حق المعرفة وبالتخلي عن الجاهلية والالتحام بالإسلام .

ومن هنا شعر في قرارة نفسه بحب شديد غامر لله سبحانه وتعالى فاق حب الدنيا وزينتها وكره الجاهلية أو العودة إليها وما يرتبط بها شكلاً ومضموناً كما يكره أن يقذف في النار .

6- استيعاب العقيدة :

تركت العقيدة الإسلامية التي تم استيعابها من قبل الصحابة أثرا" عظيماً في تصورهم وسلوكهم ، فبعد تبدد العقيدة الفاسدة في نفوسهم وحلت محلها العقيدة الصحيحة القائمة على التوحيد الخالص ظهر الأمر على حقيقته فتجسد الإله الواحد الحق للوجود وتلاشت صورة الأرباب التي كانت عالقة في أذهان الصحابة قبل معرفة الله تعالى المعرفة الحقيقية الإيجابية[64] .

ومن خلال العقيدة الصحيحة استطاع الصحابة رضي الله عنهم رؤية نور الحق وما ينطوي عليه من توحيد خالص قضى على ظلمه الباطل وما يحمله في طياته من شرك وأرباب تعبد من دون الله سبحانه وتعالى وبفعل العقيدة الصحيحة تحطمت القيود التي كانت مكبلة للصحابة قبل إسلامهم وتغيرت محاور الثقل الأكبر للعقيدة الصحيحة وتغيرت الصورة في الأذهان ، فبعد أن كانت الصورة في أذهان الصحابة رضي الله عنهم قبل إسلامهم مبهمة غامضة غير ذات دلالة[65] (... نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) سورة الجاثية آيه 24 ، تغيرت الصورة بفعل

---

(64) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق – ج2، ص32.

(65) المرجع نفسه ، ص33.

استيعاب العقيدة الصحيحة النقية القائمة على التوحيد الخالص فأصبح الكون كون الله – محكم التدبير لا يتم فيه شيء على الإطلاق إلا بقدر من الله وتدبيره ومشيئته محسوب بدقة معجزة [66] (إنا كل شيء خلقناه بقدر) سورة القمر 49 .

والتغيير في التصور ينتج عنه تغير في السلوك ، فالتصور الذي كان قائماً في أذهان الصحابة قبل الإسلام والمتمثل في تعدد الآلهة نتج عنه سلوك غير مرغوب فيه يتفق مع التصور القائم في الذهن وعندما تغير هذا التصور تغير السلوك وأصبح سلوكاً سويا ونتيجة لذلك شعر الصحابة بالسعادة تغمرهم بفعل التخلي عن التصور الذي عطل إنسانيتهم وشعروا في الوقت نفسه بحب الله سبحانه وتعالى يغمر وجدانهم الذي أنقذهم من ذلك ، وحب ا لرسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الذي كان السبب في هذه السعادة[67] .

وهذا ما عبر عنه الرسول عليه الصلاة والتسليم بقوله (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار[68] .

وهذا الحديث العظيم يبين أموراً في غاية الأهمية حيث يبين ارتباط المؤمن بالله سبحانه وتعالى أولاً وبالرسول صلى الله عليه وسلم ثانياً وبالإنسان المؤمن ثالثاً ثم الكراهية للكفر والعودة للجاهلية ومجتمعها كما يكره الإنسان أن يقذف في النار.

---

(66)المرجع نفسه ، ص33.

(67)محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق – ج2، ص34.

(68) الإمام النووي : رياض الصالحين – تخريج محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي ، ط1، عمان 1412هـ ، ص 191،192.

وهـذه الصـفات الـثلاث تحققـت في صـحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وحب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أمر مهم في التغيير والتربية إذا وجـد هـذا الحـب في القلـب فإنـه يمـثل نقطـة ارتكاز المشاعر جميعها ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها ، وهو إلى جانب ذلك المدخل الرئيس للتربية من المنظور الإسـلامي ونقطـة ارتكازها ومنطلقها فإذا وجد هذا الحب كان من السهل أن يربى الفرد تربية إسلامية مهما واجهته من معوقات أو لحق به أذى .

إن الـذي تم مـن أول وهلة هو ذلك الحب العميق لله ورسوله صلى الله عليه وآلـه وسـلم والالتقاء على حب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والاستعداد العمـيق للـتلقي مـن الله ورسـوله صـلى الله علـيه وآله وسلم ونبذ التلقي من أي مصدر آخر في الوجود.(69)

وتـرجم هـذا الحـب إلى سـلوك عملـي تمـثل ذلك في الانقياد والطاعة التامة فعندما نهى رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم أهل المدينة عن كلام الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك فما كان من الناس إلا أن أطاعوه طاعة تامة .(70)

لقـد تركـت القـدوة الحسـنة المتمثلة في شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعقيدة التوحيد التي حلت محل عقيدة الشرك ونور القرآن الساطع أثراً عميقاً في نفـوس الصـحابة فأحـبوا الله ورسـوله صـلى الله عليه وآله وسلم حباً فاق حب أنفسـهم وأبـنائهم وآبائهم وأزواجهم فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد ما

(69)محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق – ج2، ص41-42.

(70)أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم الإسلامي بانحطاط المسلمين – مرجع سابق ، ص105.

أسلم ضرب ضرباً شديداً ودنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين على بطنه حتى لا يعرف وجهه من أنفه وحمل في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته فتكلم آخر النهار فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى أن يأكل الطعام أو يشرب الشراب حتى اطمأن على حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن ألح في التعرف على المكان الذي هو ماكث فيه وأصر أن يذهبوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [71].

ولم تقتصر العقيدة على ما تم ذكره فحسب إنما سعت أيضاً إلى تحقيق الآتي :

1- معالجة جميع جوانب الضعف وربط ذلك بالآخرة مع إيضاح حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة وبين لهم الأعمال التي يمكن أن يمارسوها وربط قبول الأعمال بالعقيدة القائمة على الإيمان بالله واليوم الآخر .

2- تربية عقول الصحابة على سعة النظر وحب الإطلاع على أسرار الكون والطموح إلى معرفة ما وراء الحس [72]. فاستطاعت بذلك تحويل عقول الصحابة من عقول جامدة وتفكير ساذج إلى عقول واسعة النظر محبة للإطلاع على أسرار الكون ونتيجة لذلك جاءت أفعال الصحابة وتصرفاتهم تتفق مع المنطق السليم بعد ما كانت مخالفة له في عهد الجاهلية ، وهذا التحول والنقلة النوعية كان محركها الأساسي ومصدرها الأصلي العقيدة التي بذرها القرآن الكريم في نفوس وقلوب وعقول الصحابة وعزز من ترسيخها رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من خلال أفعاله وأقواله وتقريراته .

(71) المرجع نفسه ، ص102.

(72) عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الإسلامية – مرجع سابق ، ص76.

3- صنعت عقيدة التوحيد من الصحابة أناساً إيجابيين وأبعدتهم عن الركون إلى أحد مهما كانت منزلته وقرابته في نفوسهم ورسخت في أذهانهم بأنهم مسئولون عن سلوكهم قولاً وفعلاً وأنه لن يحاسب أحد عوضاً عن أحد ولا يمكن أن يشفع أحد لأحد إلا بأذن من الله . وبالعقيدة الخالصة لله سبحانه وتعالى اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم وقنعت بما قسم الله لها فلا جشع ولا جزع ولا حسد ولا هلع ولا أنانية ، لأنه وبتعليم من رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يرددون صباحاً ومساءً : اللهم ما أصبح أو أمسى بنا من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر .

وإلى جانب الاطمئنان المتوازن في شعورهم فهم ليسوا بمغرورين بأنفسهم ولا قانطين عن رحمة ربهم بل هم متسلحون بالأمل والرجاء فإذا قصروا أو أخطئوا خافوا عذاب ربهم ورجوا رحمته[73] وقد ساعد على وضوح العقيدة في نفوس الصحابة تحمل الابتلاءات التي واجهوها والصمود أمام كل المحن التي تعرضوا لها .

وكانت الابتلاءات والمحن التي تعرض لها جيل الصحابة عبارة عن محك عملي واختبار لرسوخ العقيدة وتمكنها من القلوب وأثناء الابتلاء كان القرآن الكريم يتنزل بقصص الأنبياء وقصص المكذبين من قبل على مدار التاريخ إلى جانب المعاني الأخرى التي تضمنها الخطاب القرآني بالإضافة إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في هذا الشأن .

وكل ذلك دروس في العقيدة تبين أن كل نبي ورسول إنما جاء بهدف واحد لا يتغير وهو توحيد الله وإخلاص العبادة له ..(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا

(73)عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص77.

الله واجتنبوا الطاغوت) النحل آية36، (اعبدوا الله مالكم من إله غيره ...) الأعراف آية59، فالعقيدة واحدة لا تتغير وفي الوقت نفسه موقف الجاهلية واحد لا يتغير وهو الصد عن سبيل الله ورفض عقيدة التوحيد ومحاربة النبي ومن معه بغية التخلص منه ومن دعوته الخطرة على شهواتهم وأهوائهم وكيانهم وسلطانهم الذي يمارسونه في الأرض بغير حق ويستعبدون به الناس لأنفسهم من دون الله . وتبين أخيراً المصير الحتمي للطغاة الذين يحاربون دعوة الله إذ يدمرهم الله وينجي رسوله والذين آمنوا معه ويمكن لهم الأرض بعد أن يملي للكافرين ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، والى جانب ذلك كان الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من جهته يحثهم على الثبات والصبر والتعلق بالله ويحدثهم بأخبار من كانوا قبلهم وعن صبرهم وابتلاءاتهم (74).

ولما نجحوا في استيعاب العقيدة ووعتها عقولهم واستيقنتها أنفسهم وصبروا على الابتلاء أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالهجرة ليستأنف هناك تشييد البناء بعد أن تم وضع أسسه المتينة في مكة المكرمة .

7- الامتثال العظيم والالتزام الدقيق :

الامتثال التام والالتزام الدقيق من جانب الصحابة لدعوة الإسلام كانت ثمرة المنهج القرآني ومنهج الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في التربية من جهة وتعاملهم الإيجابي مع عملية التربية من جهة أخرى .لقد استطاع المنهج القرآني - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً -ومبلغه الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أحداث التغيير الحقيقي في أعلى صوره وفي فترة قصيرة جداً ، لأن الرسول

(74)عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الإسلامية – مرجع سابق ، ص77، محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ج2، ص68.

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أحسن عرض المنهج القرآني ولأن التطبيقات العملية التي صاحبت ذلك كانت فعالة وصادقة والمتمثلة في فعله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الذي كان يسبق قوله ويعلم الناس بسلوكه ونهجه في الحياة قبل أن ينطق لسانه.وعمل التعامل الإيجابي من جانب الصحابة على تحقيق الهدف النهائي لمنهج القرآن ومنهج الرسول في التغيير والتربية والذي كان الامتثال التام والالتزام الدقيق خلاصة هذا التعامل الإيجابي .

ونتيجة لصدق هذا الامتثال والالتزام كان لهما الأثر الواضح والعظيم في أخلاقهم وسلوكهم فتأثرت بكلام الله عز وجل تأثراً شديداً ، فكانوا يتلقون كلام الله عز وجل على أنه موجه إليهم شخصياً ، لا أنه موجه لغيرهم [75] ، فكانوا شديدي المراقبة لله عز وجل وكان تعلقهم بالآخرة أكثر من تعلقهم بالدنيا ، فعظم في أعينهم نعيم الجنة وهان في نظرهم نعيم الدنيا ، وارتجفت أفئدتهم من ذكر النار وعذابها وسهل عليهم تحمل الأذى والمخاطر في الدنيا من أجل مرضاة الله ونصرة دينه .

وعندما كان القرآن يحدثهم عن أخلاق وسلوكيات الإسلام كانوا يقبلون على الأخذ بها ، لأن هذا الحديث ينظرون إليه على أنه ملزم العمل به ، وكذلك بالنسبة لأخلاق وسلوكيات الجاهلية كانوا يبتعدون من مزاولتها والاقتراب منها لأنهم نظروا إلى الأمر الصادر في حقها من الله أومن رسوله على أنه ملزم لهم [76] .

(75) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق ، ص67-68.

(76) المرجع نفسه ، ص74، 76.

وهـذا يعكـس أن العقـيدة قائمـة في عقولهـم وأفـئدتهم لم تكـن غائـبة عن سـلوكهم وأخلاقهـم وإنما كانت ملتصقة بذلك فهي التي توجه سلوكهم وأخلاقهم وسائر أعمالهم .

8- الاعتصام بحبل الله تعالى (الأخوة في الله):

لقـد كـان للعقـيدة الـتي ترسّـخت في نفـوس الصحابة دور كبير في تكوين الشـعور لـدى صـحابة رسـول الله صـلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بأن بعضهم أولـياء بعـض وأنهـم عصـبة واحـدة هدفهـم واحد ومصيرهم واحد وربهم واحد وديـنهم واحـد ونبـيهم واحـد وكتابهم واحد . الأمر الذي أدى إلى التواد والتعاون والتآزر فيما بينهم .

وقـد كـان لمـنهج القـرآن الكريم ومنهج الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في التربية دور كبير في نضوج ذلك وتبلوره بصورة فريدة .

وتكونـت نتـيجة لذلـك لـدى الصحابة رؤية واضحة ومحددة حول علاقتهم بـربهم وعلاقـتهم بأنفسـهم وعلاقـتهم بـأعدائهم.ولذلـك استحقوا هذا الوصف العظـيم مـن الرب العظيم سبحانه وتعالى حيث قال: (محمد رسول الله والذين معه أشـداء عـلى الكفـار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سـيماهم في وجوههـم مـن أثـر السـجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كـزرع أخـرج شـطأه فـآزره فأستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفـار وعـد الله الذيـن آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً) سورة الفتح آية 29 .

انـه وصف عظيم لجيل عظيم من رب عظيم إنها صورة عجيبة - كما يصف ذلـك سـيد قطـب [77] - والـذي يضـيف قـائلاً:إنها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكـريم بأسـلوبه الـبديع صـورة مؤلفة من عدة لقطات لإبراز حالات هذه الجماعة المختارة حالاتها المضمرة فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ولقطة تصور هيأتهم في عبادتهم (تراهم ركعاً سجداً) ولقطة تصـور قلوبهـم ومـا يشغلها ويجيش بها (يبتغون فضلاً من الله ورضوانه) ولقطة تصور أثر العبادة والتوبة إلى الله في سمتهم (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) (ذلـك مثـلهم في التوراة) وهذه صفتهم فيها ولقطات متتابعة تصورهم في الإنجيل (كـزرع أخـرج شـطأه) (فـآزره) (فأسـتغلظ) (فاستوى على سوقه) (يعجب الزراع) (ليغيظ بهم الكفار) والصحابة لهم حالات شتى ولكن هذه اللقطات تناولت الحالة الثابـتة في حـياتهم.وهـذه الصـورة العجيـبة الـتي رسمهـا الله عـز وجل في هذه الآية العظـيمة كانـت أثرا" واضحاً من آثار استيعاب العقيدة وحسن التلقي لها وإجلال المـتلقي عـنه أنها صورة رائعة حقاً ، لأن التراحم والتواد إفراز من إفرازات العقيدة الصحيحة النقية التي تربط صاحبها بالله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وصـحبه وسـلم أولاً وبإخوانـه المؤمـنين ثانـياً.وعـدم الخضـوع للكافرين الذين لا تربطهم رابطة بالله ولا برسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ولا بالمؤمنين وإنما يكنون لله المحادة ولرسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وللمؤمنين .

كذلـك نفـى الله عز وجل أن يكون المؤمن يواد من يحاد الله ورسوله ولو كان ذلـك مـن أقـرب الـناس إلـيه وأحبهم إلى قلبه قال تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله والـيوم الآخـر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم

(77)سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، مرجع سابق ، المجلد السادس ، 3331.

أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . رضى الله عنهم ورضوا عنه . أولئك حزب الله آلا إن حزب الله هم المفلحون) المجادلة آيه 22 . وقال تعالى (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) المائدة آيه 56 . وهذا الولاء كان له دور كبير في الانتماء إلى عصبة المؤمنين بالله والمنتمين إلى حزبه ، الأمر الذي أدى إلى التواد والتراحم والتعاون والتآزر بين جيل الصحابة وتحققت بذلك الأخوة في الله والاعتصام بحبله .

ويصف محمد قطب [78] المحبة والمودة والتراحم الذي ساد الصحابة رضي الله تعالى عنهم بقوله : حين تجمع الصحابة حول رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فقد تجمعوا بكيانهم كله والتحمت قلوبهم بنوع جديد من الرباط لم يألفوه من قبل ولا وجود له في الحقيقة خارج نطاق العقيدة، ورباط العقيدة هذا هو الذي وحد قلوب الصحابة حول الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حين حدث اللقاء بينهم في الله فتحابوا والتحمت قلوبهم ثم زادها التحاماً لقاؤها في حب رسول الله فتآخت ذلك الإخاء الفريد الذي تحدث عنه القرآن الكريم والتاريخ .

لقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يسير الاثنان منهم في الطريق فتفصل بينهما أثناء المسير شجرة فيعودان فيسلم أحدهما على الآخر شوقاً إليه من تلك اللحظة التي فصلت بينهما في الطريق ويكى أحد الصحابة حزناً لأنه فكر في فراق رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في الآخرة وهو لا يطيق فراقه في الدنيا[79] ، فكان الجواب من المولى عز وجل (ومن

(78) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ط2، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة 1408هـ، ص35.

(79) أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، مرجع سابق ، ص106 .

يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) سورة النساء آيه 69 .

وعلى أساس رباط العقيدة آخى الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بين الأوس والخزرج القبيلتان اللتان كان بينهما صراع مرير ونزاع مستمر ومن خلال العقيدة وبالعقيدة ذاب هذا الصراع وتلاشى النزاع وتحولت العداوة إلى محبة والفرقة إلى وحدة واعتصام بحبل الله وسجل القرآن الكريم ذلك بقوله:(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)آل عمران آيه 103 لقد استوعب جيل الصحابة الأخوة في الله كما استوعبوا من قبل العقيدة استيعاباً حقيقياً قولاً وعملاً من أدنى مراتب الأخوة وهي سلامة الصدر إلى أعلى مراتب الأخوة وهي الإيثار .

وقد أوردت سورة الحشر تبياناً وافياً لذلك.فالمهاجرون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم في مكة بسبب إيمانهم بالله ورسوله فقد فضلوا هذا الإخراج وفضلوا أن يتحولوا من أغنياء إلى فقراء في سبيل الحصول على رضوان الله عز وجل ومن أجل نصرة الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وقد كانوا في ذلك صادقين وفي الوقت نفسه كان الأنصار مصلحين لأنفسهم مترفعين عن النقائص البشرية من غل وحسد وشح ليس سلامة الصدر كحد أدنى للأخوة في الله فحسب وإنما إلى الإيثار كحد أعلى للأخوة في الله ولذلك كان الجزاء المناسب لهم الفلاح الذي هو من جنس العمل[80] .قال تعالى واصفاً ذلك (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم

(80) سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، مرجع سابق ، مج 6، ص3525.

الصادقون والذين تبوئوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) سورة الحشر 8،9 .

لقد سجل القرآن الكريم هذه الصورة الصادقة - كما يصف ذلك سيد قطب [81] التي تبرز أهم الملامح المميزة للمهاجرين الذين أخرجوا قهراً من ديارهم وأموالهم والذي جاء نتيجة الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة ، لا لذنب إلا أن يقولوا : ربنا الله ، وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم(يبتغون فضلاً من الله ورضوان) اعتمادهم على الله في فضله ورضوانه لا ملجأ لهم سواه ولا جناب لهم إلا رحماه ... وهم مع أنهم مطاردون قليلون (ينصرون الله ورسوله) في قلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات (أولئك هم الصادقون) صدقوا في القول والعمل .

هذه أهم خصائص المهاجرين من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والتسليم . أما أهم خصائص الأنصار من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ...) . الحشر آية (9)

إنها خصائص رائعة لم يعرف تاريخ البشرية كله حدثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب والتكريم والبذل والسخاء ، وبهذه المشاركة الرضية وبهذا التسابق إلى الإيواء وتحمل الأعباء ، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار

(81)المرجع نفسه ، ص3526.

أنصاري إلا بقرعة لأن عدد الراغبين في الإيواء أكثر من المهاجرين[82] (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) سورة الحشر آية 9 ، وفي معركة أحد صورة أخرى من صور الإيثار الذي مارسه صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عملياً فقد مر أحد الصحابة على جريح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ينزف فأعطاه الماء ليشرب فقال الصحابي الجريح بل أعطه لأخي لعله أحوج به مني وذهب يعرض عليه الماء فقال أعطه لأخي فلان لعله أحوج به مني ... وهكذا كان كل منهم يرده إلى الأول فلما عاد إليه إذا هو قد لفظ أنفاسه فعاد إلى الثاني فإذا جميعهم قد ذهبوا شهداء كل واحد منهم حتى لحظة الموت يؤثر أخاه على نفسه[83].

وهكذا تحققت الأخوة الصادقة في الله بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في أعلى مراتبها الإيثار قولاً وعملاً .

رابعاً : المصادر التي اعتمدت عليها التربية الإسلامية في تربية الصحابة

من العرض السابق لطبيعة منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم في التربية نلحظ بأن مصدر التلقي والتكوين الروحي والعقلي والجسدي للصحابة قد اقتصر على القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(82)سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص3526، 3525، 3526.

(83)محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص80 .

فالنبع الذي من خلاله تلقى الصحابة رضي الله تعالى عنهم منهج تغييرهم وتربيتهم كان محصوراً ومقصوراً على القرآن الكريم وحده حتى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه لم يكن إلا أثرا من آثار ذلك النبع الصافي وهذا ما أكدته السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها عندما سئلت عن خلق الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قالت (كان خلقه القرآن)، فقد حوى القرآن من حقائق الغيب وحقائق النفس وحقائق الحياة وحقائق الاجتماع الإنساني وبين من سنن الله تعالى ومن آياته في الأنفس والآفاق مالا يستغني بشر عن معرفته والاهتداء به وقد صاغ ذلك كله في أسلوب معجز[84].

فالقرآن الكريم يعد العامل الوحيد الذي شكل فكر وعقيدة الصحابة رضي الله عنهم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مدركاً لأهمية وحدة المنهج وصفائه ونقائه في التكوين والتربية وتغيير أوضاع الجاهلية ، لذلك عمل على حصر منهج التغيير على القرآن الكريم وحده وعزل المتلقين له عن أي مؤثر غير القرآن الكريم وخاصة في عهد التكوين والتربية وبداية عهد التغيير ، ولذلك عندما رأى الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في يد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صحيفة من التوراة نهاه عن ذلك ، وعندما كان القرآن الكريم هو النبع الذي استقى منه جيل الصحابة والمصدر الوحيد الذي كون عقولهم وبصيرتهم وبنى وجدانهم فقد أفرز جيلاً خالص القلب خالص العقل خالص التصور خالص الشعور خالص التكوين من أي مؤثر غير القرآن الكريم ومن ثم كانت النوعية الفذة لذلك الجيل الفذ وذلك الشأن العظيم في التاريخ[85].

(84) يوسف القرضاوي : ثقافة الداعية – ط6 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1403هـ – 1983م، ص10.

(85) سيد قطب : معالم في الطريق – مرجع سابق ،ص17.

نتائج البحث :

توصل البحث إلى النتائج الآتية :

1- العوامل التي وقفت خلف نجاح التربية الإسلامية تتمثل في طبيعة منهج القرآن الكريم ، ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية ، وتعامل الصحابة الإيجابي مع منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية .

2- من سمات عظمة منهج القرآن الكريم في التربية أنه كان يختار الزمان والمكان والحدث والبيئة المناسبة لإحداث التغيير بالإضافة إلى ظروف وأحوال الفرد والجماعة محل التغيير والتربية .

3- قامت التربية والتغيير التي تبناها منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم وفق خطوات محكمة ومتدرجة . فقد كانت أول خطوة خطاها القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية تتمثل في زعزعة عقيدة الشرك ، وكانت الخطوة الثاني تتمثل في غرس عقيدة التوحيد لتحل محل عقيدة الشرك ، وكانت وسائل هذا المنهج كثيرة ومتنوعة والتي منها ضرب الأمثال ولفت الأنظار إلى بطلان الشرك وبطلان تعدد الآلهة وكذا ضرب الأمثال ولفت الأنظار الهادفة إلى بيان واثبات حقيقة عقيدة التوحيد .

وبعد هدم عقيدة الشرك وإقامة على إثرها عقيدة التوحيد كانت الخطوة الثالثة التي تلتها هي هدم سلوكيات وأخلاقيات عقيدة الشرك وإقامة على إثرها سلوكيات وأخلاقيات عقيدة التوحيد .

4- لم يقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية على داء بعينه بل عمل على إحداث التغيير في جميع مجالات الحياة وعمل على استئصال كل الأمراض والأدواء التي كانت تعاني منها التربية في ذلك الحين وبذلك أتى الرسول صلى الله عليه وسلم التربية والتغيير من الباب الواسع ، وكان سبيله في ذلك قائم على العقيدة الخالصة الصحيحة ورفض كل شئ يفسد ويعكر من صفائها لأن الدخول في تفاصيل الإسلام تقتضي في البداية الاعتراف بحقيقة لا إله إلا الله ورفض ما يخالفها أو يناقضها والخضوع لله والاستسلام له قبل الحديث عن الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم .

5- كانت أداة الرسول صلى الله عليه وأله وصحبه وسلم في التربية والتغيير أداة تربوية ممثلة في عدة جوانب كان في مقدمتها :

أ) الحكمة والموعظة الحسنة القائمة على الترغيب والترهيب .

ب) القدوة الحسنة .

ج) البيئة الصالحة .

6- إن منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التربية والتغيير أحدثا تغييراً حقيقياً في أعلى صوره في فترة قصيرة وبإمكانات مادية متواضعة، لأن الرسول صلى الله علية وعلى اله وسلم

أحسن عرض المنهج القرآني، ولأن فعله كان يسبق قوله ، ويعلم الناس بسلوكه ونهجه في الحياة قبل أن ينطق لسانه.

7 – مصدر التربية الإسلامية في تربية الصحابة اقتصر على القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم بعيداً عن أي مؤثر آخر .

8 – استطاع الصحابة بفعل منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتفاعلهم الإيجابي مع خطابهما أن يقيموا في واقعهم التربية الإسلامية قولاً وعملاً واصبحوا لذلك أمة إيجابية يتطابق قولها مع فعلها تقيم الفضيلة من خلال أمرها بالمعروف وتزيل الرذيلة من خلال نهيها عن المنكر

وبذلك استطاعت التربية الإسلامية في عهدها الأول أن تربي جيلاً فريداً وصفه ربه بأنه خير أمة أخرجت للناس .

التوصيات :

من خلال النتائج التي توصل إليها البحث وجد بأن عوامل نجاح التربية الإسلامية في تربية جيل الصحابة يرجع إلى طبيعة منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية وتعامل الصحابة الإيجابي مع منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في التربية ، واقتصار التربية الإسلامية على القران الكريم والسنة المطهرة في تربية الصحابة بعيدا عن أي مؤثر آخر .

وحتى يكتب للتربية الإسلامية النجاح مرة أخرى يوصي الباحث بضرورة العمل بعوامل نجاح التربية الإسلامية التي وقفت خلف تربية جيل الصحابة ، وذلك من خلال الآتي :

إنشاء إدارة ضمن الهيكل التنظيمي لوزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي تتولى وضع البرامج والأنشطة التربوية المختلفة وفقاً لمنهج التربية الإسلامية (منهج القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية) الذي تم الحديث عنه في هذا البحث .

يتم فتح قسم للتربية الإسلامية في كليات التربية في العالم الإسلامي يكون من بين مهامه (إلى جانب تدريس التربية الإسلامية وإجراء البحوث ذات الصلة بميدان التربية الإسلامية) وضع البرامج والأنشطة التربوية وفقاً لمنهج التربية الإسلامية .

إنشاء إدارة للتربية الإسلامية ضمن الهيكل التنظيمي لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون في العالم الإسلامي تتولى إعداد البرامج والمسلسلات واللقاءات التربوية، وفقاً لمنهج التربية الإسلامية .

يتم فتح إدارة للتربية الإسلامية ضمن الهيكل التنظيمي لوزارات الأوقاف والإرشاد في العالم الإسلامي يكون من بين مهامها وضع البرامج والأنشطة التربوية المختلفة، وفقاً لمنهج التربية الإسلامية .

على أن يتم تنفيذ ذلك من خلال المؤسسات التربوية التي تقع تحت إشرافها وفي مقدمتها المساجد .

إنشاء إدارة للتربية الإسلامية ضمن الهيكل التنظيمي لوزارات الشباب والرياضة في العالم الإسلامي تتولى وضع البرامج والأنشطة التربوية وفقاً لمنهج التربية الإسلامية، على أن يتم تنفيذها من خلال الأندية التابعة لوزارات الشباب والرياضة في العالم الإسلامي ومن خلال المخيمات الشبابية التي تقيمها .

هذا على المستوى الرسمي أما على المستوى الشعبي فإن الباحث يقترح تأسيس جمعية للتربية الإسلامية في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي يكون من مهامها الأساسية تربية أفراد المجتمع وفقاً لمنهج التربية الإسلامية ، وذلك من خلال فتح المدارس والنوادي وإقامة المخيمات الشبابية وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات وتنظيم الرحلات وغيرها من الأنشطة التربوية المختلفة في حدود إمكانات الجمعية المادية والبشرية .

المراجع ..

1. أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – الطبعة السادسة مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر – مصر، 1385– 1965 ، ص78–79.

2. إسحاق الفرحان : التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة – ط1 ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، 1982.

3. الإمام النووي : رياض الصالحين – تخريج محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي ، ط1، عمان 1412 ، ص192،191.

4. سيد قطب : في ظلال القرآن ، الطبعة الشرعية التاسعة ، دار الشروق ، بيروت، 1402 ، ج6، ص3800–3801.

5. سيد قطب : معالم في الطريق ، الطبعة الشرعية التاسعة ، دار الشروق ، بيروت ، 1400 ، ص14.

6. سيف الإسلام علي مطر : التربية الإسلامية والتغير الاجتماعي – دراسات تربوية – سلسلة أبحاث تصدرها رابطة التربية الحديثة ، المجلد 9، ج59، القاهرة ، 1993.

7. عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الإسلامية – الطبعة الأولى – دار الفكر – دمشق ، 1399– ص22،21.

8. عبد الفتاح عاشور : منهج القرآن في تربية المجتمع – الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي بمصر 1399 – 1979 ، ص 91.

9. علي خليل مصطفى أبو العينين : التربية الإسلامية والتنمية ، مكتب التربية العربي لـــدول الخليج العربي– مجلة رسالة الخليج العربي –، العدد22، السنة السابعة ، الرياض، 1407.

10. محسن عبد الحميد : المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري – كتاب الأمة رقم 6 ، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – بيروت – رجب 1405– نيسان 1985، ص 63–64.

11. محمـــد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن الكريم – في دراسة أجراها عمر عبيد حسنة –سلسلة قضايا الفكر الإسلامي – يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ، دار الوفاء – المنصورة مصر 1412– 1981 ،ص94.

12. عمـــاد الديـــن خلـــيل : دراسة في السيرة –دار النفائس – بيروت – 1397، ص 88،90.

13. محمـــد قطب : منهج التربية الإسلامية ، ط3– دار الشروق – بيروت، 1400، ج2 ، ص51.

14. محمـــد قطـــب : واقعنا المعاصر ، ط2، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة 1408، ص35.

15. محـــي الدين النووي: رياض الصالحين، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ص99–100.

16. يوسف القرضاوي: ثقافة الداعية–ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403–1983، ص10.